"وَرَمَى نَفْسَهُ عَلَى الأَرْض" (مرقس 14 :35)
وضعيات الجسد أربع: الوقوف، الجلوس، الاستلقاء، والركوع. الإنسان يقف ليَسير. هذه هي وضعية من لا يعرف السكون. يسوع هو إنسان دائم السير، حتى إنه لا يملك بيتًا، ولا حجرًا يسند إليه رأسه. الإنسان يجلس ليقرأ، ليتأمل، ليدرس: يسوع، كالمعلّم، يجلس على الجبل أو في القارب ليعلّم التلاميذ والجموع. الإنسان يستلقي لينال قسطًا من الراحة، وحتى للدخول في النوم العميق، أي الموت: يسوع أُنزِل عن الصليب ووُضِع في القبر. لكن، لكي يصلّي الإنسان، عليه أن يركع. **"أن يرتمي على وجهه على الأرض"** هو، في الواقع، التعبير البيبلي الأكثر شيوعًا للدلالة على الخضوع، والتسليم، والتبجيل، وبالتالي على الصلاة. وبصورة ملموسة، يعني ذلك أن يركع الإنسان على ركبتيه، ويفتح ذراعيه، ويسجد بوجهه إلى الأرض. ولدينا العديد من الشواهد القديمة التي تُظهر هذا الوضع الجوهري للصلاة بحسب الكتاب المقدس، خاصةً في زمن الآباء ، أي قبل ظهور الشريعة الموسوية.

سأقتصر على بعض الأمثلة:
أبراهيم رمى نفسه على الأرض أمام الملائكة الذين زاروه (تكوين 18 :2). ابن أخيه لوط فعل الشيء نفسه، «ساجدًا إلى الأرض» (تكوين 19 :1). خادم إبراهيم، علامة شكر لأنه وجد عروسًا لابن سيده، «سجد إلى الأرض أمام الرب» (تكوين 24 :52). يعقوب، حين اقترب من أخيه عيسو، «سجد إلى الأرض» (تكوين 33 :3). يعقوب يرفض أن يخضع إلى هذا الحد أمام ابن أصغر (تكوين 37 :10)، لكن أمام يوسف، وجب على جميع إخوته أن يسجدوا (تكوين 42 :6). وهكذا دواليك. لا شكّ في أن هذه هي الوضعية الجسدية التي يتّخذها الإنسان ليُظهر خضوعه الكامل لإرادة من هو أعظم منه.

ومن اللافت أن هذا السجود على الوجه تمّ التخلّي عنه في شعب إسرائيل في الحقبة ما بعد الكتابية. ما عدا بعض الاستثناءات النادرة، يصلّي شعب إسرائيل اليوم واقفًا، لا راكعًا. أما الإسلام العربي فقد حافظ على هذه الوضعية الأولى للصلاة، ويكرّرها يوميًا حتى اليوم. في العالم المسيحي، نحن غالبًا ما نُدعى إلى الركوع، والمسيحيون الشرقيون اعتادوا القيام بـ«سجدات» متكررة. ومن الملفت أيضًا أن **إيتي هيلِسوم**، الشابة اليهودية-الهولندية التي قُتلت في أوشفيتز، وهي

محبوبة كثيرًا اليوم من قبل الشباب، قد ذكرت في مذكراتها أنها تعلّمت من جديد الركوع – وأصبح ذلك عادة مألوفة لديها – بمساعدة خادمة مسيحية.

أن نركع أو نسقط على ركبَتَينا، هو ما يعلّمه القديس بولس في صلاته التعبدية: "ولهذا أركع على ركبتيّ أمام الآب الذي منه تسمّى كل أبوة في السماء وعلى الأرض" (أفسس 3 :14-15). وهناك ترجمة بديلة تقول: «الذي منه تنبع كل أبوة»، وأظن أنها أكثر تعبيرًا، لأنها تُظهر أن الخضوع لأبوة الله يُولِّد أيضًا خصوبة بشرية أوسع. على كل حال، الركوع قريب جدًا من «الارتماء على الأرض» بحسب عادة الساميين القدماء، وهي الوضعية التي حفظها المسلمون، والتي ربما ينبغي علينا نحن المسيحيين أن نُعيد اكتشافها، على الأقل في أوقات الشدة، على مثال يسوع في الجسمانية.

—الأب ألبرتو ميلّو، راهب من جماعة بوزِّ